سلسلة: علماء الإسلام وملحمتهم التقويمية عبر التاريخ

مقدمات نحو صياغة أنموذج منظوري إرشادي إسلامي عام في الفقه والعلوم

(10) صناعة الفقه: الأصولية الجعفرية والاجتهاد المؤطر بالأسطورة

الحلقة الثالثة عشرة

6) المخيال التنظيري الأسطوري السياسي الإحدى عشري

لاحظنا ما واجه **الفكر الإحدى عشري** إثر وفاة إمامه التاريخي الحـــادي عـــشر: **الحسن العسكري** (ت: 260 هـــ) **دون أن يولد له ولد**، من مأزق وجودي دوري نمطي حرج، **وللمرة السادسة** على التوالي خلال قرن واحد (148 هـــ – 260 هـــ) من تـــاريخ الجعفريـــة الملـــئ بالانشطارية القلقة والانقسامات المتوترة على صعيد التنظير والممارسة.

وبما أن كل **السيناريوهات التلفيقية المحتملة**، أو **المتخيلة للخروج من أزمة خلافة الإمام**، كانت **قد جربت من قبل**، وإثر **وفاة كل إمام** تقريباً، ضمن صيرورة **"ثبوت الأنماط"** (Fixed

Typologies) التي تميز بها **المخيال التنظيري الأسطوري السياسي الإحدى عشري عامة**، وذلك منذ الإمام السادس: **جعفر الصادق** (ت: 148 هـــ)، وفق مسلسل ما أطلقنا عليه اسم: "**التناذر السياسي الجعفري**" بأطواره وتشعباته المختلفة، فيكفينا هنا التذكير والإشارة عرضاً، إلى الملامح العامة التي حكمت آليات هذه الانشطارية النموذجية في خطوطها العريضة.

قلت:

وقد تمثلت الإشكالية الاستخلافية بعد وفاة الحسن العسكري، من دون عقب يخلفه، في أربعة سيناريوهات رئيسية من بين أربعة عشر إخراج واقعي ممكن، كان لكل واحد منها اعتباره وأنصاره ودعاته وهي[1]:

1) إما الوقوف على الإمام الذي قضى، وبالتالي القول بعدم موته! وبغيبته! وانتظار رجعته!، وهو النمط الأثير كمعراج أمثل للطيران مع كل طائر، منذ أن ادعيت "المهدوية" و"الرجعة" و"الغيبة" في محمد بن علي بن أبي طالب، الشهير بلقب ابن الحنفية (ت: 81 هـ) من طرف فرقة الكيسانية.

وهو النمط الأسطوري الأول.

2) أو ادعاء انتقال الإمامة أفقياً إلى أحد إخوته الأحياء، ليس بالتمرير الأفقي الذي منع منه التنظير العمودي المتأخر، بكون الإمامة لا تصلح في أخوين بعد الحسن والحسين!، ولكن بالأصالة في الأخ، لظهور فساد إمامة الحسن العسكري لخلوه من شرط الضرورة المذهبية وهو وجود العقب، مادام المخرفون قد ولدوا اخباراً تقول بتسلسلهم في الأزل.

وبالتالي وجب كشط اسمه من سجل الأئمة، والقول بإمامة أخيه جعفر بوصية أبيه مباشرة إليه!.

وهو النمط الأسطوري الثاني.

[1] أنظر "فرق الشيعة" للحسن بن موسى النوبختي، طبعة استنبول لسنة 1931.

3) أو **الرجوع القهقرى إلى إمام سابق على المتوفي والقول بمهدويته** بحـــسب الإخـــراج الأول أعلاه، وهو ما ادعته فرقة في أخ الحسن العسكري، **محمد** (ت: 253 هـــ) الذي كان قد توفي في حياة أبيه **علي الهادي** (ت: 254 هـــ)، فأنكروا وفاة **محمد** هذا وقالوا بأن والده كان قد أشار إليه ونصبه إماماً ونصّ على اسمه، وقالوا بأن هذا ما يتفق عليه الجميع، ولا يجوز أن يشير الإمام إلى غير إمام بالوصية وهـــو **معصوم!**

...، وإذن، فهو الإمام ولا أحد سواه، وهو لم يمت في الحقيقة! كما هو ظاهر، بل أخفاه والده خوفاً عليه (**ما أخفى جعفر الصادق ابنه إسماعيل، حـــسب قول الإسماعيلية، التي ستنجح بمثل هذا التخريف في إقامـــة دولـة العبيديين بالقيروان سنة 296 هـــ، بعد أربعين سنة فقط من مـــوت الحسن العسكري!**)، وبالتالي **فمحمد بن علي الهادي هو المهدي المنتظر** لا محالة!.

قلت:

وقد عرفت هذه الفرقة بالفرقة **المحمدية**. وقالوا بأن إمامة **الحسن العسكري** كانت **غلطاً فاحشاً**، وأن ادعاءه الإمامة كان **باطلاً وانتحالاً**، وفرية، وبهتاناً مبينا، إلا أن ما أفـــشل

عليهم تخريجهم بدورهم، هو أن محمد بن علي الهادي، لم يعقب، كما عقب إسماعيل بن جعفر الصادق!، وبالتالي فهو لا يصلح للإمامة من هذه الجهة،

وهو النمط الأسطوري الثالث.

4) أو تمريرها عمودياً إلى البكر من أبناء الإمام الراحل، على ما استقر عليه التنظير العمودي الجعفري المتأخر.

وهو النمط الأسطوري الرابع.

لكن ما عقد الأمر هذه المرة بعد وفاة الحسن العسكري، هو أن الإحدى عشرية، وكنتيجة طبيعية لصيرورة تنظيرها القصري والحصري في الإمامة، التي ظلت تضيق على أصحابها، إما بالتنحية القسرية للفروع أو بالحَجب الداخلي للأصول، إلى أن انحصرت في الأصلاب البكر فقط، أوقعها في عنق زجاجة نظرية وعملية صعب عليها الانفكاك من تبعاتها.

فالحجر النظري والتضييق العملي كان قد حجب منصب الإمامة عند الفرقة عن:

أ) الأمة جمعاء[2]، وهو تنظير مخالف لعالمية الدعوة الإسلامية وروحها، ثم ضيقوها بعد ذلك ومنعوها عن:

[2] وخصص المؤدلج علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: 329 هـ) الباب الرابع من كتابه "الإمامة والتبصرة من الحيرة" ص. 169، لهذا الدعوى، حيث حمل الباب عنوان: "باب أن الله عز وجل خصّ آل محمد بالإمامة دون غيرهم"!.

ب) أبناء **علي بن أبي طالب** من غيـر **فاطمة الزهراء** رضـي الله عـنهم أجمعين، حال **محمد بن عليّ بن أبي طالب** الـشهير **بابن الحنفية** (ت: 81 هـ)[3]، ثم

ت) **ضاقت ضرعاً بأبناء العم والأخوال والإخوة**[4]، بعـد أن كانـت صالحة فيهم، حال **الحسن** (ت: 49 هـ) و**الحسين** (ت: 61 هـ) ابني علـيّ بن أبي طالب، لتنحصر في العقب البكر فحسب من أبناء الحسين[5].

قلت:

وهذا التضييق النظري نشأ في البداية عند **منظري الإحدى عشرية الكوفيين المتأخرين**، ولم يكن قط معمولاً به على **صعيد الواقع**، مادام الكثير من المحسوبين على المذهب كـانوا لا يترددون في ترك سفينة النظرية الإحدى عـشرية الـضيقة وركـوب **الثورات الزيدية العارمة**، الأكثر رحابة من جهة الدماء، **لشمول الاستحقاق الإمامي** في هذه النظرية الأخيرة، لفرعي **الحسن** و**الحسين**، والتي لم تنقطع قط سوى بتكوين **دول للزيدية** على الأطراف.

---

[3] وقد عقد ابن بابوسه باباً لذلك في كتابه ص. 193، حمل عنوان: "باب إمامة علي بن الحسين وإبطال إمامة محمد بن الحنفية!".

[4] وعقد لذلك باباً ص. 191، حمل عنوان: "باب أن الإمامة لا تكون في عم ولا خال ولا أخ".

[5] وعقد ابن بابويه، وهو القمي ذو الأصول الفارسية في كتابه:"الإمامة والتبصرة من الحيرة"، ص. 177 باباً لذلك: "باب أن الإمامة لا تصلح إلا في ولد الحسين من دون ولد الحسن!". وهو ما لا يخفي نكهته الفارسية، لانتساب آل الحسين لابنة كسرى، زوج علي بن الحسين، زين العابدين، مع أنه سيخصص للباب التالي ص. 183 عنوان: "باب إمامة الحسن والحسين"، والباب السابع التالي بعنوان: "باب العلة في اجتماع الإمامة في الحسن والحسين" وأورد فيه خبراً يرويه أبو بصير المرادي المضعف والمختلف فيه عندهم يرفعه إلى جعفر الصادق يقول: {نزل أمر الحسن والحسين عليهما السلام معاً!!!، فتقدمه الحسن بالكبر!}. 😀 قلت: وهو يؤسس هنا لمبدأ البكرية في الاستحقاق. لكن، لا يفتأ أن يتدارك ضمن هذا التأسيس التنظيري الجديد إلى عقد باب لاحق ص. 187 حمل عنوان: "باب أن الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين"!.

لكن، في حال الحسن العسكري، فقد سد هذا التنظير العمودي كل هذه الإمكانات، ولم يبق متاحاً سوى ثلاثة احتمالات ضمن كشكول احتمالات التنميط الاستخلافي الجعفري وهي:

5) إما القول بالوقف على الحسن العسكري نفسه، أي: العمل بالنمط الأسطوري الأول، مع ما يتبع ذلك من القول بعدم وفاته، ومهدويته وغيبته!، وانتظار رجعته!. وهو حل تبناه فريق من الإحدى عشرية وسموا بسبب ذلك ب "الواقفة" على الحسن العسكري. وهم للتذكير: ثالث فرقة نعتت بنعت "الواقفة" في تاريخ الإحدى عشرية، بعد "الناوسية" الذين وقفوا على جعفر الصادق (ت: 148 ÷ـ) ولم يتعدوا بالإمامة إلى أحد من أبنائه!، و"الواقفة" الذين وقفوا على ابنه موسى الكاظم (ت: 183 هـ)، ولم يرضوا بتمريرها إلى ابنه علي الرضا (ت: 202 هـ).

6) أو إعمال الانتشار الأفقي وادعاء الإمامة في أخيه جعفر الذي ورث تركة أخيه الحسن بقرار رسمي مشهود وموثق من طرف السلطات العباسية الرسمية[6]، وهو ما تبنته بعض شيعته[7] كنمط أسطوري سادس، بالرغم من عدم

[6] أنظر: أبا جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الجعفري (وهو غير المؤرخ المشهور) في كتاب: "دلائل الإمامة" ص. 223-224، ضمن "بحار الأنوار" للمجلسي، حيث قال: بأن أم الحسن العسكري جرى بينها وبين أخ ابنها الحسن أقاصيص في مطالبته إياها بميراثه، وأنه قد سعى بها إلى السلطان.

اتفاقه مع **النظرية العمودية** في العقب التي تحجب الإخوة وتجعلها فقط في العقب البكر المباشر، كما تطورت إلى زمن العسكري!.

قلت:

وهو ما يثبت **عدم الإجماع على العمل بالنظرية العمودية**، خصوصاً وقد صدح هذا الفريق بأثر رجعي، **بعدم صحة إمامة الحسن العسكري** أصلاً، مادامت النظرية تقول **بعدم خلو العصر من إمام حجة!** وإلى يوم القيامة![8]،

وبالتالي **فالحسن ليس بإمام مادام لم يعقب!.**

7) أو **القول بما قالت به الفطحية الأولى ومنذ قرن**، حيث كانوا قد أقروا بإمامة **عبد الله** (الأفطح) **بن جعفر الصادق** (ت: 148 هـ)، إلا أن وفاته المباغتة بعد وفاة والده **جعفر الصادق** (ت 148 هـ) بسبعين يوماً فقط، من دون أن يكون للأفطح ولد وضعتهم في مأزق عسير لم يسبق لهم التعامل معه.

---

[7] يقول الحسين بن حمدان الخصيبي النُّصَيْري الجُنبُلاني (ت: 358 هـ) في كتاب "الهداية الكبرى" ص. 383. بأن جماعة من أهل مدينة قم وهم أبو الحسن بن ثوابة، وأبو عبد الله الجمال، وأبو علي الصائغ القزويني، كانوا يأخذون الأموال من الشيعة باسم جعفر بن علي الهادي، أخ الحسن العسكري، ويأكلونها ولا يوصلون إليه منها شيئاً ويتهمونه مع ذلك بالكذب!!.

[8] وهو ما وطأ له علي بن الحسين بن بابويه في "الإمامة والتبصرة" في بابه الثاني: "باب أن الأرض لا تخلو من حجة" قال: {حدثنا محمد بن يحيى (العطار)، عن عبد الله بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إبراهيم، عن زيد الشحام، عن داود بن العلاء، عن أبي حمزة الثمالي قال: قال الباقر (هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت: 114 هـ)): ما خلت الدنيا مذ خلق الله السموات والأرض، من إمام عادل!، إلى أن تقم الساعة، حجة الله على خلقه!}. وأبو حمزة الثمالي ثابت بن دينار الأزدي الكوفي تثبت الكتب الرجالية الجعفرية أنه ممن يشرب المسكر أنظر ترجمته في اختيار معرفة الرجال المعروف برجال أبي عمرو محمد بن محمد بن عمر الكشي ص. 201، طبعة مؤسسة الأعلمي، كربلاء العراق. وهو مضعف عند السنة لكذبه وليس لتشيعه. وقال الإمام أحمد فيه: ضعيف ليس بشيء، وقال ابن معين مثله: ليس بشيء. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال الدارقطني: متروك. وقال ابن حبان: كلن كثير الوهم في الأخبار حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا تفرد مع غلوه في تشيعه. أنظر ابن حجر العسقلاني في: "تهذيب التهذيب (2: 11/8)، ط. أولى 1404 هـ/1984 م، دار الفكر، لبنان. 😂 قلت: وقد أورد علي بن الحسين بن بابويه في هذا الباب خمس عشرة رواية أخرى تخرج من ذات المشكاة، وبعضها لا يرويها أحد سواه!.

فكان أن طلع عليهم، ضمن التخريج الأسطوري للطائفة، من قال بوجود **ولد لعبد الله الأفطح**، وبأنه قد ولد له في **السر!**، وسمّاه والده **محمداً المهدي**.

قلت:

وهذا الإخراج الأخير، استغل الإسم الشخصي للأفطح وهو **عبد الله**، ليتفق مع **الإخراج المهدوي** الذي كان قد ألصقته الدعاية الهاشمية عامة، **ب محمد بن عبد الله** الملقب بالنفس الزكية (ت: 145 هـ)[9]، قبل انفراط عقد تحالف الهاشميين، بانقلاب **العباسيين** على بني عمومتهم **الطالبيين** واستئثارهم بمغانم الخلافة دونهم.

وهو **نمط أسطوري سابع**، لا يتفق والنظرية الإحدى عشرية العامة، ماداموا قد لفقوا أخباراً تقول بأن **الإمامة مستمرة في العقب إلى يوم الصعق**، وبأن **كل إمام يوصي إلى من بعده!،...إلخ!**.

قلت:

فهذا النمط الأسطوري الأخير، كان قد توقع به المعتزلي واللغوي الشهير: **أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ البصري** (163 هـ - 255

[9] معتمدين على الخبر المكذوب على رسول الله ﷺ القائل بالمهدي الذي يوافق اسمه اسم الرسول ﷺ (أي محمد) واسم أبيه اسم أبي الرسول ﷺ (أي عبد الله)!. وهو ما استغله أبو جعفر المنصور العباسي (ت: 158 هـ)، الذي اشتغل قبلاً في الدعاية لمحمد النفس الزكية بهذا الشعار بالذات، قبل الانقلاب عليه، وتسمية ابنه محمد المهدي نسفاً لشعار الطالبيين، ما دام اسم المهدي هذا يوافق اسم الرسول ﷺ واسم والده المنصور يوافق اسم والد الرسول ﷺ لأن اسم المنصور العباسي هو عبد الله!.

هـ) (صورة متخيلة له) عندما بذكاء لاحظ **خلو الحسن العسكري**

من العقب ، وعمل الإحدى عشرية **بعنق زجاجتها**

في التنظير العمودي العقيم، ليستنتج أن لا حل للإحدى عشرية هذه المرة

سوى بادعاء خلود الإمام، وألف من أجل ذلك كتابه "التربيع والتدوير"

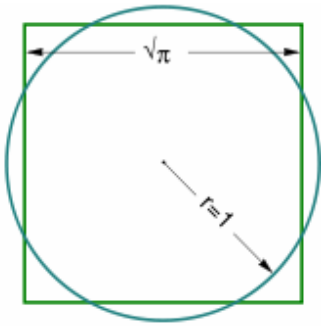

[10]، وهو ما سيصدقه الواقع![11].

قلت:

---

[10] والعنوان يشير إلى كون الجاحظ كان ملما بالمسألة الرياضياته المعروفة في "تربيع الدائرة" **مسألة تربيع الدائرة**. هي مسألة طرحت من قبل علماء الرياضيات الإغريق. تطرح المسألة تحدي إنشاء مربع له مساحة مساوية لمساحة دائرة معطاة باستخدام عدد منته من إنشاءات الفرجار والمسطرة. ولم يتم برهنة استحالة هذا الإنشاء سوى في عام 1882 على اعتبار أن العدد باي (∏) هو عدد متسام أي أنه ليس جذر أي متعدد حدود له. {أنظر موسوعة ويكيبيديا} .

[11] **أنظر كتابنا: "المهدي اللامنتظر لا عند اليهود ولا عند الشيعة ولا عند السنة ولا عند البرتغال" ص. 116.**

وهذا **الإخراج الأخير**، هو ما سيستقر عليه **رأي منظري الفرقة الإحدى عشرية** التـــي ستكتب لها الاستمرارية التاريخية من بين **أربع عشرة فرقة** لكـــل منهـــا **إخراجها المسرحي المختلف في الإمامة**، من بين كل تلك الخيارات المفتوحة الأخرى كأنماط قابلة للتنفيذ![12].

وهكذا **سيؤسطر** المؤسطرون، وعلى غرار **الفطحية الأولى كنمط**، أن قد

ولد للحسن العسكري ولد في السر! من جاريـــة لم يتفقوا حتى على اسمها![13]، ثم قالوا بأنـــه قـــد غاب في سرداب وهو ابن خمـــس ســـنين،! وأنـــه المهدي!، وأن اسمه محمد!، بمـــا لا جـــدة فيـــه ضـــمن **تنظير الطائفـــة العقـــيم نمطـــاً وشـــكلاً ومـــضموناً وتخريفـــاً وأسطرةً وفحوى!.**

وسيمر هذا الإخراج من ناحية التنظير، **بثلاث مراحل** قبل أن يرسو على الوضع الـــذي ستستقر عليه **الإحدى عشرية العقدية اللاحقة** كما وصلت إلينا اليوم.

---

[12] أنظر "فرق الشيعة" النوبختي. وانظر كذلك لمزيد كتابنا: "المهدي اللامنتظر لا عند اليهود ولا عند الشيعة ولا عند السنة ولا عند البرتغال" ص. 116 وما بعدها، ورسالة الجاحظ: "التربيع والتدوير"، وكذلك أحمد الكاتب في: "تطور الفكر السياسي الشيعي: من الشورى إلى ولاية الفقيه" ص. 121 -129. نشر دار الجديد، ط. أولى 1998، بيروت.

[13] أنظر كتابنا: "كيف تمت هندسة فيروس اسمه أدونيس؟" ص. 77، حيث قالوا إنها: سوسن، أو صقيل، أو صيقل، أو حكيمة، أو ريحانة،..إلخ. وقد عقد الصدوق الكذوب على عادته في التلفيق في كتابه: "كمال الدين" ص. 41/418 باباً بعنوان: "باب ما روي عن نرجس أم القائم! واسمها مليكة بنت يشوعا بن قيصر الملك!!". ولم يعن بتحقيق أن لا وجود لهذا الملك المزعوم!. لكن متى عد هذا غريباً ضمن أسطرة الفرقة!.

المرحلة الأولى: وهذه جاءت مباشرة بعد وفاة **العسكري**، ومهد ونظـر

لها رجلان متعاصران عاشا في زمن "**الغيبة الصغرى**" (260 هـ - 329 هـ)

وهما:

أ) أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت: 328 هـ) بكتابه: "**الكافي**"

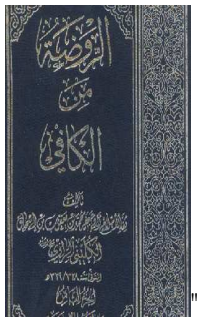

،

ب) وعلي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: 329 هـ) بكتابه: "**الإمامة والتبصرة من الحيرة**"

.

وسيكون لكتاب "**الكافي**" هذا، عند الأخبارية الإحدى عشرية اللاحقة شأناً عظيماً، **يفوق بكثير**

ما للقرآن نفسه! كمصدر من مصادر التشريع والتأصيل، حيـث

اعتبـــر بمثابـــة **المصدر الأول لدى الطائفة، القاضـي علـى كتـاب الله نفسه** !!! ، الذي آمـــن الكلينـــي والأخباريـــة عامـــة إيمانـــاً جازمـــاً بوقـــوع **التحريف فيه**، وملأ كتابه بشواهد مفبركة دالة على ذلك على ما مر بنا.

قلت:

وقد مثل كتاب **ابن بابويه** الجانب العقدي فيما يخص موضوع "**الإمامة**"، فـــي إخـــراج انتقائي وتلفيقي جديد، أخذ في الاعتبار الأنماط التقليدية ومستجدات الساحة السياسية والعقدية، بعد انفراط تسلسل الإمامة بخلو آخر إمام وهو الحسن العسكري من العقب.

المرحلة الثانية: هذه المرحلة ستبدأ مباشرة بعد وفاة الرجلين وتزامنت مـــع انتهاء فترة "**الغيبة الصغرى**" ذاتها سنة 329 هـــ، ودخول حقبـــة "**الغيبة الكبرى**" إثرهـــا، والمستمرة عند هذا الفريق إلى اليوم.

انتهى وتليه الحلقة 14

البيئة السياسية التي وطأت للمذهب الإحدى عشري